شرح صحيح مسلم

((الحديث السادس عشر))

للشيخ الدكتور

ماهر بن ياسين الفحل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

@maher.alfahl

https://linko.page/mdaralhadeth

[١٦] حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ))** ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ))** ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ** } [التوبة: ١١٣] وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ** } [القصص: ٥٦].

[١٦/١] وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ. قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ: ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ - كِلَاهُمَا، عَنِ الزُّهْرِيِّ... بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ صَالِحٍ انْتَهَى عِنْدَ قَوْلِهِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْآيَتَيْنِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: فَلَمْ يَزَالَا بِهِ.

الشرح والبيان

المعنى الإجمالي:

(حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي أبو حفص المصري، صدوق، وهو صاحب الإمام الشافعي ، مات سنة (٢٤٣) .

(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه ، روي عن أحمد أنّه قال : (كان ابن وهب له عقل ودين وصلاح) ، وقال الحارث بن مسكين : (جمع ابن وهب الفقه والرواية والعبادة ورزق من العلماء محبةً ، وحظوةً من مالك وغيره) ، مات سنة ١٩٠.

(يُونُسُ) هو يونس بن يزيد بن أبي النّجاد ، ويقال : ابن مشكان بن أبي النجاد الأيلي ، أبو يزيد ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، قال عنه أحمد : (ما أعلم أحداً أحفظ بحديث الزهري من معمر إلا ما كان من يونس فإنَّه كتب كل شيء هناك) ، مات في صعيد مصر سنة (١٥٢).

(ابْنِ شِهَابٍ) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله، الثقة الحافظ ، مات سنة (١٢٤).

(سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد الثقات الأثبات ، والفقهاء الكبار ، روى عن كبار صحابة النّبي ﷺ، قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد بن المسيب

، قال : وإذا قال : مضت السنة فحسبك به ، قال : هو عندي أجل التابعين، وقال العجلي كان رجلاً صالحاً فقيهاً وكان لا يأخذ العطاء وكانت له بضاعة يتجر بها في الزيت، وكان سعيد بن المسيب شديدًا في الحق ، لا يماليء الحكام ولا يسكت عن خطاياهم، وكان يقول: (لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة) ، وكان من أكثر الناس عبادة .

(عَنْ أَبِيهِ) وهو المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ، أحد أصحاب النّبي ﷺ ، وكان ممن شهد بيعة الرضوان مع النّبي ﷺ، وقد عاش حتى زمن خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

(قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ) أي : حضرته علامات الموت ، وأبو طالب هو ابن عبد المطلب ، وهو عم النّبي ﷺ والد علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف **(جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ)** وهو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، كان من سادات قريش ، وأشد الناس عداءً للنّبي ﷺ ، والذي كنّاه أبا جهل هو النّبي ﷺ بعد أنْ كان يكنى بأبي الحكم، وقد قتل في يوم بدر، ضربه أول ضربة معاذ بن عمرو بن الجموح ، ثمّ ضربه الأخرى أخوه معوّذ ، وبعد انتهاء المعركة أجهز عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، **(وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ)** هو عبد الله بن أبي أمية بن مهشم (أبي حذيفة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، **(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً**

أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)) أي: أشهد لك بإسلامك ، وذلك ترغيباً له في الدخول في الإسلام، وأنَّه إن قالها فسينجو بها من حرِّ النار، (فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!) أي : أتعرض عنها وتتركها ، وهو استفهام من باب التعجب والإنكار ، والملة : هي الفئة ، ويراد بها هنا دين عبد المطلب (فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ) أي : يكرر عليه طلب النطق بالشهادتين، (حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ) أي : آخر تكليمه إياهم ، (: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) يريد بذلك نفسه، (وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي : امتنع عن النطق بكلمة التوحيد، (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَمَا)) وهي أداة استفتاح، (وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ) يعني : ما لم أُنهَ عن الاستغفار لك (فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ } أي: ما يجوز وما ينبغي لهم ذلك، { وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ } [التوبة : ١١٣] يتبيَّن ذلك بموتهم على الكفر وامتناعهم عن الدخول في الإسلام (وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ) أي : في شأنه (فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ } [القصص: ٥٦] قال القرطبي رحمه الله : (أي : لا تقدر على توفيق من أراد الله تعالى خذلانه ، وكشف ذلك بأنّ الهداية الحقيقية هي خلق القدرة على الطاعة وقبولها ، وليس ذلك إلا لله تعالى، والهداية التي تصح نسبتها لغير الله بوجه ما ، هي الإرشاد والدلالة).

من فوائد الحديث :

١- ساق الإمام مسلم هذا الحديث في هذا الموضع لبيان عظمة شأن كلمة التوحيد،

وأنّها تُخرج العبد من دائرة الكفر ، وتدخله في دائرة الإسلام ، وتنجيه من عذاب النار يوم القيامة .

٢- من المعلوم أنَّ الكافر إذا حضره الموت ، وعاينه وأيقن من وقوعه فإنَّه لا يُقبل منه الإيمان في تلك اللحظة لقوله تعالى : { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } [النساء : ١٨] ولكن قال بعض العلماء بأنَّ ذلك قد يكون خاصاً بالنبي ﷺ فقال الزين ابن المنيّر : (لم يأت بجواب إذا ؛ لأنَّه لما قال لعمه : (قل : لا إله إلا الله . أشهد لك بها)كان محتملاً ؛ لأن يكون ذلك خاصاً به ؛ لأنَّ غيره إذا قالها ، وقد أيقن بالوفاة لم ينفعه) .

٣- في هذا الحديث حثٌّ للعباد بأنْ يتخيروا لأنفسم الأصحاب الفضلاء الذين يعينوهم على طاعة الله تعالى والتضرّع إليه ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، وأنْ يبتعدوا عن قرناء السوء لما لهم من الخطر الكبير على أصحابهم .

٤- رأفة النبي ﷺ وشفقته على عمّه أبي طالب ، ولهذا كان يريد أنْ يستغفر له لولا أنْ نهاه الله تعالى عن ذلك .

٥- جواز القسم لتوكيد الأمر والعزم على الفعل حتى لو لم يطلب ذلك من المقسم.

٦- من الأخطاء الخطيرة التي يقع فيها الكثير من الناس حتى من بعض المسلمين : أنهم إذا دعوا إلى منهج النبي ﷺ وسنته لم يطبقوا ، وذلك احتجاجاً بما كان عليه أباؤهم ، ولكن الواجب على العبد أنْ يكون وقّافاً عند حدود الله تعالى مطبقاً لسنة نبيه ﷺ وأنْ لا يبالي بمن خالفه أو وافقه.

٧- فيه النهيُ عن الاستغفار للكفار الذين يموتون على كفرهم وضلالهم ، ولو كانوا أولي قربى ولأنّ رابطة الإيمان أقوى من كل رابطة ؛ ينبغي على المؤمن أنْ لا تقوده عاطفته إلى مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى.

٨- إنَّ الاستغفار للمشركين بعد العلم بشركهم هو أمرٌ منافٍ لما يجب أنْ يكون عليه العبد من الولاء والبراء .

٩- قيل : إنَّ حقيقة الإيمان تقتضي تقديم المؤمن ولو كان بعيد النسب وتأخير الكافر ولو كان قريب النسب.

١٠- دلَّ الحديث على أنَّ الآية الأخيرة نزلت على النبيِّ ﷺ حين حزن على عدم إسلام أبي طالب ، وهمَّ أن يستغفر له فنهاه الله عن الاستغفار ، وفي هذه الآية بيانٌ أنَّ الهداية لا تكون إلا لله وحده ، والمقصود بها هداية التوفيق إلى الصواب . أمّا هداية الإرشاد فإنّ النَّبيَّ ﷺ قد هدى النَّاس ، وبيّن لهم سبل الخير والرشاد ، وكل مؤمن مكلفٌ بمثل هذا الفعل .

قال ابن تيمية رحمه الله : (يقولون : إنَّ الاهتداء الذي في القلب لا يقدر عليه إلا الله ، ولكن العبد يقدر على أسبابه ، وهو المطلوب منه بقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) وهو المنفي عن الرسول بقوله : (إنك لا تهدي من أحببت) .

للوصول السريع انقر
على الأيقونة
انقر على الصورة لمشاهدة المادة مرئيةً